على العمل بما علمت وقد كان السلف لصفا قلوبهم لايحتاجون في طريق العمل
بعلمهم لعدم الموانع وصار الناس اليوم لهم موانع لاتحصى حتى ان بعضهم
يرى الاخلاق المحمديه من زهد وورع وخشية فلايصل الى التخلق بها فلذلك
اوجب علما الشريعة على الطالب ان يتخذ له شيخا يرشده الى الطريق فازالة
هذه الموانع من باب مالايتم الواجب الا به فهو واجب وقالوا من لم
يجد له شيخا في بلده وجب عليه السفر في طلبه ومن لم يستطع السفر
وجب عليه مجاهدة نفسه بغير شيخ قال تعالى فان لم يصبها وابل فطل
ومراد جميع اشياخ الطريق بتسليكهم الناس ان يوصلوا المريد الى مقام
العمل براحة الاخلاص الذي كان عليه السلف الصالح لاغير فان اشتغال احدهم
بالعلم بعد ذلك اوصلى اوصام اوحج اوتورع اوزهد كان محفوظا من الرعونات
التي تخرج مقام الاخلاص اوتحبط العمل وقد قدمنا في المقدمة ان حقيقة
الصوفي هو عالم عمل بعلمه على وفق ما امره الله تعالى به لاغير انتهى
وكانت صورة مجاهدتي لنفسي انى كنت اطالع كتب القوم كرسالة
القشيري وعوارف المعارف والقوت لابي طالب المكي والاحيا للغزالي ونحو
ذلك واعمل بما يتضح لي من طريق الفهم ثم بعد مدة يبدو لي خلاف ذلك
فاترك العمل بالامر الاول واعمل بالثاني وهكذا فمكثت كالذي يدخل دربا
لايدري هل ينفذ ام لا فهو يسلك الى اخره فان راه نافذا خرج منه وان
رجع ولوانه اجتمع بمن يعرفه من الدرب قبل دخوله لكان بين له امره
واراحه من التعب فهذا مثال من لاشيخ له فان فايدة الشيخ انما هي
اختصار الطريق للمريد لاغير ومن سلك بغير شيخ تاه وقطع عمره ولم
يصل الى مقصوده لان مثال الشيخ مثال دليل الحاج الى مكة في الليالي
المظلمه ومن جملة ما جاهدت به نفسي من غير اشارة شيخ انى كنت
جعلت لي حبلا في سقف الخلوه بحزم على عنقي اذا جلست ولايتصل الى
الارض اذا اضجعت فمكثت اجعله في عنقي من العشا الى الفجر فمكثت
على ذلك سنين ولم يكن لي بحمد الله تعالى علاقه دنيويه تعوقني عن المجاهدة
والوصول الى المقصود سوى كثرة وجود العلل في اعمالي وان كانت العلل
معه في كل مقام سلكه فلكل مقام علل تناسبه فافهم وكانت القناعة
من الدنيا باليسير سداي ولحمتي فاغنتني بحمد الله تعالى عن الوقوع في الذل
لاحد من ابنا الدنيا ولم يقع لي انني باشرت حرفة ولا وظيفة لها معلوم
دنيوي من منذ بلغت ولم يزل الحق تعالى يرزقني من حيث لا احتسب
الى وقتي هذا وعرضوا على الالف دينار واكثر فرددتها ولم اقبل
منها شيا وكان المباشرون والتجار ياتوني بالذهب والفضة فانثرها
في صحن جامع الغمري فيلتقطها المجاورون وتركت لذيذ الطعام
واللبس الخشن والمرقعات من شراميط الكيمان نحو سنتين واكلت
التراب لما فقدت الحلال نحو شهرين ثم اغناني الله تعالى بالحلال المناسب

لمقامي

لمقامي اذ ذاك وكنت لا اكل طعام امير ولا مباشر ولا تاجر يبيع على الظلمة ولا
فقيه لايسد في وظيفته وياكل معلومها ولا غير ذلك من جميع المتهورين
في كسبهم وضاقت على الارض كلها ونفرت من جميع الناس ونفروا مني
فكنت اقيم في المساجد المهجوره والابراج الخراب مدة طويلة واقمت
فوق البرج الذي فوق السور من خرابة الاحمدي مدة سنة ومارايت
اصفى من تلك الايام وكنت اطوي الثلاثة ايام واكثر ثم افطر على نحو
اوقية من الخبز من غير زيادة وضعفت بشريتي وقويت روحانيتي
حتى كنت اصعد بالهمة في الهوى الى الصواري على صحن جامع الغمري
فاجلس عليه في الليل والنهار والناس نايمون ثم اذا نزلت من السلم الى الجامع
انزل بجهد وتعب لغلبة روحانيتي وطلبها الصعود الى عالمها فانه
لا يثقل الانسان في الارض الا كثرة الشهوات وهذا هو سبب تحريك الانسان
نفسه حال الذكر وتلاوة القران فكان الروح تشتاق الى القرب من حضرة
ربها اذا سمعت كلامه او اسمه فتكاد تلحق بعالمها السماوي انتهى

وقد انشدوا في ذلك

ولما بدا الكون الغريب لناظري ۞ حننت الى الاوطان حن الركايب

ولما غلب على طلب العزلة عن الناس تنكرت مني قلوب جميع اصحابي
ونفروا مني حتى كانهم لايعرفوني من ضيق وفقني عن مباسطتهم بالكلام
اللغو وعدم المجالسة وكنت كثيرا ما اخرج الى موارد البرك التي يغسل
الناس فيها الفجل والخس والجزر والبقل فالتقط منها ما يكفيني ذلك
اليوم واشرب عليه من ذلك الما واشكر الله تعالى على ذلك وكنت لا اكل
قط طعام فقير لاكسب له من المتعبدين في الزوايا لما اقول هذا شخص ياكل
بدينه وكذلك كنت لا اكل طعام قاض ولو كان من اهل الدين لما عساه ان
يقع فيه عند الحاجة من قبول هدايا الناس ثم اني تركت اكل طعام كل
من يمسك الميزان والمكيال والذراع ثم طويت عن طعام جميع الناس فلا اكل
الا عند اوايل درجة الاضطرار وذلك حين لا اجد امعاي شيا تشتغل
به فيلذع بعضها بعضا وكنت اذا افتتحت مجلس الذكر بعد العشا
لا اختمه الا عند طلوع الفجر ثم اصلي الصبح واذكر الله الى ضحوة النهار ثم اصلي
الضحى واذكر الله حتى يدخل وقت الظهر فاصلي الظهر ثم اذكر الله الى العصر
ومن صلاة العصر الى المغرب الى العشا وهكذا فمكثت على ذلك نحو سنة
وكنت كثيرا ما اصلي بربع القران بين المغرب والعشا ثم اتهجد بباقيه
واختمه قبل الفجر وربما صليت بالقران كل ركعة وكان نومي عليه بخطف
راسي خطفة بعد خطفة وخفقة بعد خفقة وكثيرا ما يغلب علي
النوم فاضرب افخاذي بالسوط وربما ابل ثيابي في الما البارد في الشتا
حتى لا ياخذني نوم وهذه الامور عندنا من قاعدة ما اذا تعارض عندنا
مفسدتان وجب ارتكاب اخفهما مفسدة ولاشك ان وقوف المحب

Copyright ... University